

مَدْرَسَةُ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ



دراسة عن كتاب «الأجبية» القبطية (٣)

القس باسيلوس صبحي



إِنْ لَمْ تَوْثِقُوا فَلَنْ تَفْهَمُوا

دراسة عن كتاب الأجبية القبطية (٣)

القس الدكتور باسيلوس صبحي



دراسة عن كتاب «الأجبية» القبطية (٣)

القس الدكتور باسيلوس صبحي
دكتوراه في العلوم اللاهوتية - جامعة أثينا
باحث بالمركز الثقافي القبطي

تحليل محتوى الكتاب

تناولنا في مقالنا بالعدد السابق، موضوع: محتوى الكتاب، وفي هذه الحلقة نستكمل الموضوع بدراسة تحليلية لمحتوى الكتاب، علماً بأن كل هذا السرد لا يزال تحت عنوان: دراسة المحتوى تاريخياً.

أولاً. المحتويات الثابتة على مدار العصور:

أ) الصلوات الافتتاحية:

وهي تُعرف باللغة اليونانية باسم Οἱ προοιμιακὲς εὐχῆς، بينما لم نعثر على مخطوط واحد يحوى هذا العنوان قبطياً، وذلك لأن معظم المخطوطات التي تحوي نص «الأجبية» القبطية، وصلتنا ناقصة الأول، والآخر أحياناً، وبالتالي لم نحظْ بمعرفة، ومن ثم دراسة «الصلوات الافتتاحية» في معظمها. وذلك لأن المخطوطات الطقسية بصفه عامة هي أكثر المخطوطات استخداماً ومن ثم استهلاكاً، وبصفة خاصة مخطوطات الأجبية، تلك التي تتميز بأنها تُستخدم أكثر من مرة يومياً. كما أنها تستخدم بين الشموع المُضاء أحياناً فتترك عليها بصمتها، وتحت القناديل أحياناً أخرى فتفيض عليها من زيتها ... وهكذا تتلف العديد من أوراقها الأولى، أو على الأقل يبهت حبرها وتُفقد بعض أطرافها. كما أن العديد من المخطوطات تعرضت للإهمال أو التخزين غير الصحي، بعد فقدان شيء من أوراقه، وخصوصاً بعد ظهور وانتشار الكتب المطبوعة مع بدايات القرن العشرين.

ورغم كل هذه التحديات، إلا أن العدد الأقل من المخطوطات الذي وصلنا كاملاً، جاء متفقاً في أن الصلوات الافتتاحية في كتاب «الأجبية» القبطية كانت ولا تزال تتكون من: البسمة والمجدلة، صلاة الشكر، والمزمور الخمسين.

١) البسمة والمجدلة:

البسمة أي الجملة المعروفة: «باسم الآب والابن والروح القدس،

الإله الواحد.

أمين»

والعبارة الثانية من هذه الجملة «الإله الواحد»، عبارة مضافة في العصر العربي، إذ لا وجود لها في النصوص القبطية القديمة أي ما قبل عصر الترجمة للغة الضاد. وقد أُضيفت في ذلك الوقت للرد على الاتهام الموجه للكنيسة بالتعبد لأكثر من إله، أي الفهم الخاطئ لمعنى الثالوث المسيحي. فرأت الكنيسة إضافة هذه العبارة فوراً بعد الأولى، لتأكيد معنى التوحيد بعد ذكر التثليث. استناداً على النص الكتابي «فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة؛ الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد» (١ يو ٥: ٧). والدليل على هذا أن الكنائس الرسولية التقليدية الغربية لا تستعمل هذه العبارة المضافة بعد العبارة الأولى الثابتة والأقدم بلا شك، بينما تستخدمها الكنائس الرسولية التقليدية الشرقية، لنفس السبب السابق الذكر، على سبيل المثال: الكنيسة السريانية^(١) والملكانية والمارونية ... إلخ. ولكن نقلتها تلك الكنائس الشرقية للغات الغربية مؤخراً حينما ترجمت وطبعت ليتورجيتها لتلك اللغات، لخدمة من هاجر من شعبها نحو الغرب خلال القرن العشرين^٢.

^١ مار أغناطيوس أفرام الأول برصوم، للؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، ط. ٤، مطبعة ابن العبري بدير مار أفرام السرياني بهولندا ١٩٨٧م، ص ٢٣٤.

^٢ هاجر عدد من مسيحي بلاد الشام وجنوب شرق تركيا للغرب منذ أوائل القرن العشرين، بينما لم تُعرف هذه الظاهرة عند الأقباط إلا في ستينات ذلك القرن.

أما العنصر الثاني فهو المجدلة، أي القول: «المجد للآب والابن والروح القدس، الآن وكل آوان وإلى دهر الدهور. آمين».

وهي عبارة مشهورة وكثيرة الاستخدام في الصلوات الليتورجية عند سائر الكنائس الرسولية التقليدية. وهناك شبه إجماع من علماء الليتورجيات أن القديس يوحنا ذهبي الفم هو من أدخلها في الاستخدام الليتورجي^(٣).

(٢) الصلاة الربانية:

وأخيراً، تُختتم هذه الفقرة من الصلوات بالصلاة الربانية، التي تُعرف باللغة القبطية (اللهجة البحرية) باسم **Ἡ Κυριακὴ Προσευχὴ**، وبال يونانية باسم **Ἡ Κυριακὴ Προσευχὴ**. وهي صلاة كتابية ورد نصها في بشارة القديس متى ٦: ٩-١٣. وقد أشار إلى استخدامها ليتورجياً منذ القرون المسيحية الأولى عدد من آباء الكنيسة مثل: لونديوس أسقف نيابولي^(٤)، وسيناسيوس^(٥). والاستخدام الليتورجي لهذه الصلاة ترك بصمته عليها للأبد، فأضاف عليها عبارة: «لأن لك الملك والقوة والمجد، إلى الأبد، آمين»^(٦)، وهي سمة قبطية خالصة^(٧).

(٣) صلاة الشكر:

في التقليد القبطي المصري الصميم، هناك صلاتان تُعرفان باسم صلاة الشكر. الأولى والتي تُدعى «صلاة الشكر الكبرى»، وهي تنسب للقديس ساويروس البطريك الأنطاكي، ونص هذه الصلاة ورد في بداية صلاة

³ Hans-Joachim Schulz, *The Byzantine Liturgy, symbolic Structure and Faith Expression*, English edition: New York 1986, p. 96.

⁴ P. G., 93, 1649 A.

⁵ P. G., 66, 1065 D.

⁶ Roshdi Wassef Behman Dous, *Ἡ Ἀλεξανδρινὴ Θεία Λειτουργία τοῦ Μεγάλου Βασιλείου κατὰ τὴν Κοπτικὴ Παράδοση* Κριτικὴ Ἑκδόση, Διατριβὴ ἐπὶ Διδακτορία ὑποβληθεῖσα εἰς τὸ Τμήμα Ποιμαντικῆς καὶ Κοινωνικῆς Θεολογίας τῆς Θεολογικῆς Σχολῆς τοῦ Ἀριστοτελείου Πανεπιστημίου Θεσσαλονίκης, Θεσσαλονίκη 1997, σ. 16.

⁷ O. H. E. Khs. Burmester, *The Egyptian or Coptic Church A Detailed Description of her Liturgical Services and the Rites and Ceremonies Observed in the Administration of her Sacraments*, Publications de la Société d'Archéologie Copte, Le Caire 1967, p 320.

القداس الإلهي، ومحفوفة بمخطوط خولاجي دير القديس العظيم الأنبا شنوده رئيس المتوحدين بسوهاج المعروف باسم الدير الأبيض، وهي ليست موضوع بحثنا هذا، لذلك سنهمل الكلام عنها بالتفاصيل الآن^(٨).

أما الصلاة الثانية والتي تُدعى «صلاة الشكر الصغرى»، ومطلعها: «فلنشكر صانع الخيرات الرحوم الله...». تلك الصلاة التي تتصدر خدمة الأسرار وكل الخدمات الطقسية الأخرى في الكنيسة القبطية، وهي موضوع بحثنا هذا. فهي صلاة مصرية (قبطية) صميمة وقديمة، من إنتاج المدرسة الليتورجية بمدينة الإسكندرية^(٩)، تلك المدرسة التي أنتجت العديد من النصوص الليتورجية التي لاتزال مستخدمة حتى اليوم، سواء في الكنيسة القبطية أو بعض الكنائس الرسولية الأخرى^(١٠). ومما هو جدير بالذكر أن تلك الصلاة مستوحاه من كتابات كليمنس الإسكندري، وبالتحديد من أول عبارة: «نشكرك أيها الرب إلهنا على كل حالٍ ومن أجل كل حال وفي كل حال...»^(١١).

٤) المزمور الخمسين:

وهو المزمور الحادي والخمسين بحسب الترقيم العبري، بينما يأتي رقمه الخمسين في كل من الترجمة السبعينية، والقبطية، ومطلعها «ارحمنى يا الله كعظيم رحمتك، ومثل كثرة رأفتك تمحو إثمي...»، وهو من المزامير

⁸ Emmanuel Lanne, o.s.b., «Le Grand Euchologe du Monastère Blanc», Texte Copte Édité avec traduction Française, *Patrologiae Orientalis*, vol. XXVIII, fascicule 2, Paris 1930. p.375-377.

⁹ Ἀμβρόσιος Σταυρινός, *Αἱ Ἀρχαιόταται καὶ Αἱ Συγχρονοὶ Λειτουργαὶ τῶν Κυριωτέρων τοῦ Χρ. Ἐκκλησιῶν*, τόμος Β', ἐν Κωνσταντινουπόλει 1922, σσ. 503-505.

¹⁰ أعشم أن أنتهي قريباً من تجميع ودراسة عدد من تلك النصوص الليتورجية الهامة، ونشرها في مقال مقبل إن شاء الرب وعشنا.

¹¹ *Στρωματεῖς & ANF.*, II, p. 50.

الداودية^(١٢). يُعرف هذا المزمور بمزمور التوبة، حيث يؤكد دارسو الكتاب المقدس أن كاتبه وضعه بعد توبته القوية عن خطيته الشهيرة.

أما عن وضع هذا المزمور في كتاب «الأجبية» القبطية، فهو يأتي في الصلوات الافتتاحية في العدد الأكثر من المخطوطات التي تحوي نص «الأجبية» القبطية، إلا أنه يأتي في القليل من المخطوطات كمقدمة لصلاة باكر بعد فصل رسالة البولس^(١٣).

وعلى جميع الحالات، فوضع هذا المزمور المميز في صدر كتاب «الأجبية» القبطية، لا بد أن يحمل معه حكمة آباء البراري المصرية الذين أسهموا بنصيب وافر في ترتيب هذا الكتاب، حيث اعتبروه مع صلاة الشكر هما مفتاح الحوار مع الله، حوار النفس البشرية الخاطئة التي جاءت لعريستها السماوي شاكرة في كل حال وعلى كل حال ومن أجل كل حال، وفي نفس الوقت تائبة ومعترفة بضعفها وخطيتها، وقد أغرورقت عيناها بالدموع، دموع الشكر والتوبة، فتسمع من عريستها القول: «حولي عني عينيك فإنهما قد غلبتاني» (نش ٦ : ٥).

فالشكر والاعتراف هما الجناحان اللذان تحلق بهما النفس البشرية أمام الله في بداية كل صلاة سواء كانت طقسية أو غيرها.

^{١٢} من المعروف أن التقليد اليهودي لا يستقر على رأي موحد في صحة نسب سفر المزامير كله لداود النبي والملك، وكذلك آباء الكنيسة الأولى، فمنهم من ينسبه كله لداود مثل القديس أمبروسيو (راجع: *P.L.*, XIV, 923)، والقديس أوغسطينوس (راجع: *P.L.*, XXXVII, 1141، *P.L.*, XLI, 547). ومنهم من ينسبها لأكثر من كاتب، مثل: العلامة أوريجانوس (راجع: *P.G.*, XII, 1066)، والقديس هيلاري أسقف بواتييه (راجع: *P.L.*, IX, 233)، والقديس أثاناسيوس الرسولي في مقدمة كتابه عن تفسير المزامير (*Expositiones in Psalmos, with an Argumentum prefixed*)، والقديس جيروم (راجع: *P.L.*, XXII, 1169).

^{١٣} راجع على سبيل المثال المخطوط ٤٠ قبطي بالمكتبة الرسولية بالفاتيكان، والذي نشره الأسقف روفائيل طوخي سنة ١٧٥٠م، ص ٨٥، ١٤٠، ٢٢٢، كما سبق وأشرنا في المقال الأسبق؛ والمخطوط ١٤١ مسلسل / ٣٦١ طقس، بالمتحف

القبطي بالقاهرة، وهو الذي نشره العالم Burmester سنة ١٩٧٣م، راجع:

Burmester, *The Horologion of The Egyptian Church, Coptic and arabic text from mediaeval manuscript, translated and annotated*, Edizioni del centro Francese di Studi Orientali Cristiani, Cairo 1973, p. 15.

ب) الجزء الرئيس في كل صلاة OÍ KURÍWÇ EÚXÈÇ:

١) المزامير:

وهي من أهم محتويات كتاب «الأجبية» القبطية، سواء قديماً أم حالياً. أما عن علاقة سفر المزامير بالرهبة والرهبان، فهي علاقة قوية وخاصة جداً. فالمزامير كانت ولا تزال المائدة الدسمة التي ينهل منها الراهب طول عمره، متغذياً بها ضد حروب عدو الخير. فهي عزاؤه في ساعات الضيق، وسلاحه وقت التجارب. وهي أداة فرحه ساعة التعزية، ورفيقة دربه عند الضجر. لأجل كل هذا، يفتح الراهب سفر المزامير أمامه ويلهج فيه طول اليوم ولا يعرف له انتهاء إلا عند ساعة الانطلاق من هذا العالم.

وقد بلغ ارتباط الراهبان بذلك السفر، أن بعضهم وخصوصاً في القرون الأولى للرهبة قسموا مزاميره على صلوات ساعات الليل والنهار، وهذا ما يُفسر وجود بعض نُسخ مخطوطات الأجبية القبطية المقسمة على «الـ ١٥٠ مزمور»، كما سبق وأشرنا في نهاية مقالنا الأسبق^(١٤).

ومن هنا يجدرُّ السؤال، ما هو عدد المزامير الواردة في محتوى هذا الكتاب قديماً؟، فإن كانت بعض المخطوطات تحوي سفر المزامير كاملاً مُقسماً على صلوات ساعات الليل والنهار اليومية، فإن المخطوطات الأكثر تحوي ٧٤ مزموراً فقط كما هو الحال بالكتاب المطبوع بين أيدينا الآن.

وعلى الرغم من أن الأغلبية من المخطوطات تحوي ١٢ مزموراً في كل ساعة من ساعات الليل والنهار عدا صلوات باكر، السُّتار والخدمتين الأولى والثانية من نصف الليل -إلا أن عدداً من المخطوطات تحوي على ١٥ مزموراً في

^{١٤} راجع على سبيل المثال لا الحصر: المخطوط ١٨٠ طقس بمكتبة دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس بالبرية الشرقية، بالبحر الأحمر، علاوة على تقليد رهبان دير مار جرجس بسدمنت والذي ذكره بالتفصيل القس بن كبر في نهاية الفصل السادس عشر من موسوعته الشهيرة «صباح الظلمة وإيضاح الخدمة»، راجع:

A. Wadi, *Abū al-Barakāt Ibn Kabar, Miṣbāh al-Zūmah* (cap. 16: La preghiera del giorno e della notte), *Studia Orientalia Christiana* (Offprint from *SOC-Collectanea* 35-36, 2002-2003), Cairo-Jerusalem 2003, p. 394, 419-420, 452.

صلاة باكر، وبعضها الآخر لا يحوي صلاة السُّتار...، ومن ثم فعدد المزامير يختلف من مخطوط لآخر، بحسب زمن نسخ المخطوط أو مصدره.

أما من حيث التاريخ، فحسب شهادة القديس يوحنا كاسيان، كان الرهبان في الصحاري المصرية، (بالوجه البحري بالذات) في القرن الرابع الميلادي يُصلون ١٢ مزموراً في كل ساعة من الساعات القانونية التي يُصلونها^(١٥). مقسمين المزامير فيما بينهم، أي أنه إذا كان المجتمعون راهبين، فيرتل كل واحد منهم ستة مزامير، وكذلك الحال لو المجتمعون للصلاة ثلاثة رهبان، فيرتل كلٌّ منهم أربعة مزامير، وإن كان العدد أكثر فليصلونها بصمت^(١٦).

أما عن صعيد مصر الذي لم يزره القديس كاسيان، فمعلوماتنا عنه نستقيها من قوانين القديس باخوميوس^(١٧)، وسوف نفرد له فصلاً كاملاً في دراستنا هذه لاحقاً.

٢) الطروبريات (القطع):

مقدمة لا بد منها:

قبل الولوج في صلب الموضوع، لا بد أن نعرف أن النصوص الليتورجية بدأت بسيطة وكلماتها محدودة، ثم زادت أو تبدلت بعض تلك الكلمات مع مرور الزمان لسببٍ أو لآخر. ففي بداية التاريخ المسيحي كانت الصلوات الليتورجية حرة، يُطلق فيها المصلي لسانه مرتلاً ترنيمة الشكر والحمد لله، بقلبٍ خاشع وروحٍ متضع وضميرٍ يقظ. وكانت هذه الكلمات مُفعمة بآيات الكتاب

¹⁵ «Igitur per uniuersam ut diximus Aegyptum et Thebaidem duodenarius psalmodum», John Cassien, *Institutions Cénobitiques*, Texte Latin Revu, Introduction, Traduction et Notes, Par Jean-Claude Guy, s. j., Sources Chrétiennes tome 109, 2^{ème} Ed., Paris 2001, liv. 2, 4, p.64.

¹⁶ «Si duo fuerint fratres, senos psallant, si tres, quaternos, si quattuor, ternos, quo numero numquam minus in congregatione decantant.... numquam amplius psallunt in synaxi quam quattuor, fratres», Cassien, *Institutions*, op. cit., liv. 2, 11, p. 78.

¹⁷ Armand Veilleux, *La Liturgie dans le cénobitisme Pachômien au quatrième siècle*, Studia Anselmiana Philosophica Theologica, Fasciculus LVII, Pontificium Institutum S. Anselimi, Libreria Herder - Romae 1968, p. 276-339.

المقدس بعهديه، فجاءت الصلوات في هذه الفترة: كتابية المرجع، روحية المنبع،
آبائية المصدر.

ثم لما أزعجت سلامة الكنيسة الواحدة الوحيدة بعض الهرطقات والبدع،
واستغل المهترقون هذه الحرية في دس بعض أفكارهم غير المستقيمة الرأي في
الصلوات، وقتها قررت الكنيسة أن تُحدّد نصوصاً بعينها للصلوات
الليتورجية، مُستعينة بكتابات بعض آباء الكنيسة الكبار لتغطية هذا
الاحتياج. كان ذلك في بداية القرن الثالث الميلادي تقريباً^(١٨).

فتلك النصوص التي كُتبت بأنفاس الآباء القديسين وتهداتهم، كتبها
ليس لأنهم أحبوا أن يكتبوا شيئاً يُنسب لهم فيما بعد، بل كتبوا ليعالجوا أمراً
ما في الكنيسة، انطلاقاً من شعورهم بالالتزام الأدبي نحو قضايا الكنيسة
واحتياجاتها، حتى لو لم يكلفهم أحداً بذلك. فعلى سبيل المثال لا الحصر:
«قطعة تسبحة الملائكة» بصلاة باكر، التي رأت الكنيسة أن تحفظها ضمن
نصوص صلواتها اليومية، وهي قطعة من إنتاج القديس البابا أثناسيوس
الرسولي البطريرك الإسكندري العشرين كما يفهم من مقاله في «البتولية»
(كما سوف نأتي بالشرح فيما بعد)، وكما تشهد بذلك بعض المخطوطات
القبطية^(١٩) والسريانية^(٢٠). كتبها يوم كان مُكرساً كل قوته وقدرته في
الرد على الهرطقة الأريوسية، فجاءت عبارتها تخدم الهدف المذكور رغم أن
السياق العام للمقالة يُعالج قضية أخرى.

هذا من جهة نصوص الصلوات الواردة في هذا الكتاب، مثل: القطع
والتحليل، وفيما يلي ندرس الطروباريات.

¹⁸ Jean Louis Duffes S. M. A., *La Prière Quotidienne dans L'Église Copte, Collection "Liturgie et Catechese"*, Cahier n° 4, Institut Catéchétique de Caïre, Le Caïre 1974, p. 44.

¹⁹ راجع على سبيل المثال لا الحصر: المخطوط ٤ قبطي بالمكتبة الوطنية الفرنسية بباريس، الورقة ١٢٠ ج، والمخطوط ٤٠ عربي بالمكتبة المذكورة، الورقة ٢٣٦ ط، المخطوط ٤٣ عربي، بالمكتبة المذكورة أيضاً، الورقة ٢٢٩ ط، وقد درست هذه النصوص شخصياً

²⁰ راجع على سبيل المثال لا الحصر: المخطوط ١٣ سرياني بالمكتبة الوطنية الفرنسية بباريس، الورقة ١٢٠ ج، راجع: H. Zotenberg, *Catalogue des Manuscrits Syriacques et Sabéens (Mandaïtes) de la Bibliothèque Nationale*, Paris 1874, p. 4.

والطروباريات هي تلك القطع المرتلة التي تُتلى كأنديفونا^(٢١)، أي أنها تلك التراتيل التي تُختتم بالتمجيد التالوثي (أي عبارة: المجد للآب والابن... إلخ)، وهي التي كانت ترتل بالصحاري المصرية في القرن الرابع الميلادي بشهادة القديس كاسيان أيضاً^(٢٢). وتلك التراتيل هي التي عُرفت قبطياً باسم *πντροπαρία* (حسب شهادة الكثير من المخطوطات القبطية)^(٢٣)، وهي كلمة من أصل يوناني تُكتب *Τὰ Τροπάρια*. وهي ما عُرفت في زمننا الحاضر باسم «القَطْع»، التي تتلى الآن بعد قراءة فصل الإنجيل في كل ساعة.

ولكن قديماً كانت تُرتل الطروباريات بعد المزامير، ثم تُتلى مجموعة من القراءات الكتابية. ومما هو جدير بالذكر أن ترتيب القراءات الكتابية التي كانت تُتلى بعد صلوات الساعات القانونية في القرن الرابع فهي بحسب شهادة القديس يوحنا كاسيان كانت كما يلي: في الأيام السنوية كانت تُقرأ قراءتين واحدة من العهد الجديد والأخرى من العهد القديم. أما في أيام السبوت والآحاد بالإضافة إلى الزمن الفصحي (أيام الخمسين المقدسة) فالقراءتين كانتا فقط من العهد الجديد، واحدة من رسائل القديس بولس أو سفر أعمال الرسل، والأخرى من أحد الأربعة أناجيل^(٢٤).

ومن حيث البناء التركيبي لهذه الطروباريات، فواضح أن ثمة اختلاف بين وواضح بين القِطْعَة الأولى وباقي القِطْع، وغالباً ما يدور المعنى الرئيسي في القطعتين الأوليين حول الموضوع الذي من أجله تُصلى الساعة، بينما

^{٢١} أنديفونا: كلمة

^{٢٢} «Gloria Patri et Filio et Spiritui sancto, nusquam per omnem Orientem audiuimus, sed cum omnium silentio ab eo, qui cantat, finito psalmo orationem succedere, hac uero glorificatione Trinitatis tantummodo solere antiphona terminari», Cassien, *Institutions*, op. cit., liv. 2, 8, p. 72.

^{٢٣} راجع على سبيل المثال لا الحصر: المخطوطات ١٢٩، ١٣٠، ١٤٧ طقس بمكتبة دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس بالبرية الشرقية، والمخطوط ٦٨٩ مسلسل / ١٢٣ طقس بمكتبة الدار البطريركية القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة، والمخطوط ١٢ قبطي بالمكتبة الوطنية الفرنسية بباريس.... الخ.

^{٢٤} «In die uero sabbati uel dominico utrasque de nouo recitant testamento, id est unam de apostolo uel actibus apostolorum et aliam de euangeliis, quod etiam totis Quinquagesimae diebus faciunt hi, quibus lectio curae est seu memoria scripturarum», Cassien, *Institutions*, op. cit., liv.2, 6, pp. 68-70.

التيوثولوجية دائماً موضوعها ثابت فهو تمجيد لوالدة الإله بما يناسب الموضوع الذي من أجله تُصلى الساعة أيضاً، موضعاً دور العذراء في هذا.

والخلاف ليس في البناء التركيبي الداخلي للقطعة فقط ولكن أيضاً في الخاتمة حيث أن القطعة الأولى فقط تُختم بالتمجيد الثالوثي (المجد للأب والابن... وبالقبولية $\Delta\omicron\zeta\alpha \pi\alpha\tau\epsilon\rho\iota \kappa\epsilon \Upsilon\iota\omega\dots$) بينما الثانية والتيوثولوجية تحتمان بعبارة (الآن وكل أوان.... وبالقبولية $\text{Κενηνη κειαι}\dots$)، مما يؤكد وحدة البناء الخارجي للمجموعة المرتبة نثرياً معاً (القطعتين مع التيوثولوجية).

أو بعبارة أخرى الهيكل العام للمجموعة الواحدة تتكون من قطعة ذات مميزات خاصة وهي الترتيلة الأولى كما سوف نأتي بالشرح ثم قطعتين متشابهتين من حيث البناء الداخلي ولكن مختلفتين من حيث هدف كلتيهما، فالأولى لا تزال خشوعية والثانية دائماً تيوثولوجية.

هذا هو التكوين الإسكندري القديم للمجموعة المرتلة التي تُتلى بعد المزامير، بينما التقليد الأورشليمي القديم - وهو تقليد غير معمول به الآن ولكن محفوظ فقط في العديد من المخطوطات^(٢٥) - فهو يشمل القطعة الثانية فقط ثم التيوثولوجية مباشرةً ويغيب عنها القطعة الأولى المعروفة عندنا، بينما التقليد البيزنطي القسطنطيني (وهو التقليد المعمول به في الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية الآن) فهو يشمل القطعة الأولى فقط ثم التيوثولوجية مباشرةً ويغيب عنها القطعة الثانية المعروفة عندنا، والتي تنتمي للتقليد الأورشليمي.

أي أن في جميع الحالات والتقاليد المختلفة سواء المستخدم لدينا حتى اليوم، أم عند غيرنا (أي عند الكنيسة اليونانية)، وحتى غير المعمول به نهائياً (أي التقليد الأورشليمي)، جميعهم يشتركون في قاسم مشترك هو حفظ قطعة تيوثولوجية ترتل في نهاية المجموعة الخشوعية.

^{٢٥} من أقدم وأشهر المخطوطات هذا الترتيب على سبيل المثال لا الحصر: ٨٦٣، ٨٦٤ يوناني، ١٨١، ١٨٠، ١٨٢ عربي بمكتبة دير القديسة كاترين بصحراء سيناء، راجع عزيز سوربال عطية، فهرس مخطوطات دير سيناء، ص ٧٠-٨٨.

سبق أن أشرنا أن للقطعة الأولى حيثية خاصة من حيث تركيب البناء الداخلي فهي تتكون من جملة أو أكثر خشوعية من إنتاج آباء الكنيسة الأولى، ثم آية من الكتاب المقدس (غالباً من سفر المزامير) وتُختَم القطعة بالتمجيد الثالوثي كما سبق وأشرنا.

وللتوضيح نُعطي هذا المثال على القطعة الأولى من صلاة الساعة الثالثة، فهي تتكون من:

أ. روحك القدوس يا رب الذي أرسلته على تلاميذك القديسين ورسلك المكرمين في الساعة الثالثة هذا لا تنزعه منا أيها الصالح، لكن جده في أحشائنا.

ب. «قلباً نقياً اخلق في يا الله وروحاً مستقيماً جدد في أحشائي لا تطرحني من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه مني» مز ٥٠ : ١٠ - ١١.

ج. التمجيد الثالوثي: (المجد للأب والابن والروح القدس).

د. القطعة الخشوعية الثانية: أيها الرب الذي أرسلت روح قدسك على تلاميذك القديسين...

هـ. الثيوطوكية: يا والدة الإله أنت هي الكرمة الحقيقية الحاملة عنقود الحياة...

والمثل الذي قلناه على القطعة الأولى من صلاة الساعة الثالثة ينطبق أيضاً على نفس القطعة من صلاتي الساعة السادسة والتاسعة. والآية الكتابية في الساعة السادسة هي: «أنا صرخت إلى الله والرب سمعني. اللهم استجب صلاتي. ولا ترفض طلبتي. التفت إليّ واسمعني عشية وياكر ووقت الظهر. كلامي أقوله، فيسمع صوتي، ويخلص نفسي بسلام» مز ٦٥ : ١٧ - ١٩، دانيال ٦ : ١١، ١٧ - ١٩.

بينما الآية الكتابية في الساعة التاسعة هي: «فليدُنْ وسيلتي قدامك يا رب. كقولك فهمني. لتَدْخُلْ طلبتي إلى حضرتك. ككلمتك أحييني» مز ١١٨: ١٦٩.

علمًا بأن المتابع الجيد لطقوس كنيسة القبطية يجد أننا بهذا الترتيب السابق الذكر، تُرتل هذه القُطْع في صلاتي الساعتين السادسة والتاسعة من ساعات البصخة المقدسة يوم الجمعة العظيمة، وفي قداس عيد العنصرة، بعد قراءة فصل من سفر الإبركسيس، قبل أن يرتل المرتلين لحن الروح القدس.

٣) كيريا ليصون ἐλέησον: Κύριε

وهي عبارة يونانية دخلت للغات العالم القديمة المتنوعة بنفس المعنى: «يارب ارحم»، وقد كتبها أبائنا الأقباط هكذا: **Κυριε ἐλεησον** واختصارًا كتبوها هكذا: **ΚΕ**.

أُتقت المخطوطات القديمة والطبعات الأولى للكتاب على أنها كانت تتلى ٥٠ مرة في كل صلاة من صلوات السواعي^(٢٦)، ومن أهم من شهد لنا بهذا القس (برصوم) شمس الرياسة أبو البركات الشهير بابن كبر، قسيس الكنيسة المعلقة (+ ١٣٢٤م)، في موسوعته الشهيرة *مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة*^(٢٧). غير أن الأنبا ساويروس بن المقفع أسقف الأشمونين في القرن العاشر الميلادي ذكر في عمله المشهور *ترتيب الكهنوت* أنها ٤١ مرة فقط^(٢٨)، وكذلك العلامة يوحنا ابن أبي زكريا الشهير بابن سباع في *موسوعته الجوهرة*

^{٢٦} راجع على سبيل المثال المخطوط ٤٠ قبطي بالمكتبة الرسولية بالفاتيكان، والذي نشره الأسقف روفائيل طوخي سنة ١٧٥٠م، ص ٧٩، ١٣٧، ١٨١، ٢٢٠، ٢٥٣، ٣٠١، ٣٥٣، ٣٦١، ٣٨٠.

^{٢٧} المخطوط ٢٠٣ عربي، بالمكتبة الوطنية الفرنسية بباريس، الورقة ٢٠٣ ج.

^{٢٨} الأنبا ساويروس بن المقفع، *ترتيب الكهنوت*، طبعة الأنبا صموئيل أسقف شبين القناطر، القاهرة ١٩٩٩، الفصل السادس عشر، ص ٤٢-٤٣.

النفيسة في علوم الكنيسة^(٢٩). أما عن سر هذا العدد وذاك، فهذا ما سنشرحه لاحقاً.

٤) قدوس قدوس قدوس:

قطعة قبطية قديمة، مؤلفه من أكثر من قطعة ليتورجية ذات طابع قبطي ويوناني (بيزنطي). أقدم صورة لها جاءتنا من بردية عُثِرَ عليها بدير القديس الأنبا شنوده بسوهاج الشهير بالدير الأبيض، وترجع للقرن التاسع أو العاشر الميلادي مكتوبه باللغتين اليونانية والقبطية (باللهجة الصعيدية)، وهي محفوظة الآن بالمكتبة الوطنية النمساوية بفيينا تحت رقم (=SPP K 9742 (260, 18^(٣٠).

وهي تتكون من عدة عناصر هي:

١ - العبارة الأولى: «قدوس قدوس رب الصاباؤوت السماء والأرض مملوءتان من مجدك المقدس».

هي عبارة كتابية^(٣١) وليتورجية هامة، فوردت بالطقسين القبطي والبيزنطي، حيث تُعرف في الطقس البيزنطي باسم «نشيد الظفر». ومما هو جدير بالذكر أن من أقدم الأناפורات القبطية التي تحوي هذه العبارة، كانت أنافورا القديس تيموثاؤس الرسول القبطية، الواردة بالخولاجي الكبير للدير الأبيض^(٣٢).

٢ - العبارة الثانية: «ارحمنا يا الله الضابط الكل،

أيها الثالوث القدوس ارحمنا،

²⁹ Jean Périer, «La Perle Précieuse traitant des Sciences Ecclésiastiques (chapitres I-LVI), par Jean, fils D'Abou-Zakariyâ, surnommé Ibn Sabâ', texte arabe publié et traduit», P. O., vol. XVI, f. 4, ch. XXXIV, p. 725-726.

³⁰ Jutta Henner, *Fragmenta Liturgica Coptica*, Editionen und Kommentar liturgischer Texte der Koptischen Kirche des ersten Jahrtausends, Mohr Siebeck, Wien 2000, p.186.

³¹ راجع: إشعيا ٧: ٣.

³² Emmanuel Lanne, o.s.b., *Le Grand Euchologe du Monastère Blanc, Texte Copte Édité avec traduction Française*, P. O., vol. XXVIII, f. 2, p. 310.

أيها الرب إله القوات كن معنا،

لأنه ليس لنا معين في شداثدنا وضيقاتنا سواك».

وهي عبارات كتابية^(٣٣) أيضاً، ترد في الليتورجية القبطية فقط. فهذه العبارات يفتح الكاهن القبطي ستر الهيكل وهو مكشوف الرأس^(٣٤)، مبتدئاً صلاتي رفع بخور عشية وباكر، وكذلك بهذه الكلمات تبدأ معظم الخدمات الطقسية في الكنيسة القبطية.

٣ - العبارة الثالثة: «حل واغفر واصفح لنا يا الله عن سيئاتنا، التي صنعناها بإرادتنا والتي صنعناها بغير إرادتنا، التي فعلناها بمعرفة، والتي فعلناها بغير معرفة، الخفية والظاهرة، يارب اغفرها لنا».

وهي عبارة ليتورجية خالصة، مقتبسة من القداس الغريغوري بحسب التقليد القبطي، تُتلى كمرد خاص بالشعب بعد الترحيم (أي ذكر الراقدين)، وقبل مقدمة القسمة^(٣٥).

٤ - العبارة الرابعة: «من أجل أسمك القدوس الذي دُعي علينا».

وهي عبارة ليتورجية أيضاً، مقتبسة من أوشية السلامة الكبيرة، التي تتلى بعد الإنجيل والعظة، وقبل أن تُتلى الأمانة (أي قانون الإيمان)^(٣٦).

٥ - العبارة الخامسة: «كرحمتك يا رب، ولا كخطايانا».

وهي عبارة ليتورجية، مقتبسة من القداسات القبطية الثلاث، تتلى كمرد للشعب عند ذكر الكاهن الدينونة في اليوم الأخير^(٣٧).

^{٣٣} راجع على التوالي: رؤ ٦: ٤٨ مز ٧٩: ٥، ٨، ١٥، ٢٠ مز ٤٥: ٢.

^{٣٤} راجع: الخولاجي/المقدس، طبعة القمص عبد المسيح المسعودي البرموسي، ١٩٠٢م، ص ٢٦.

^{٣٥} المرجع السابق، ص ٣٦٣.

^{٣٦} المرجع السابق، ص ١٩٧.

^{٣٧} المرجع السابق، ص ٢٢٥، ٣٣٦، ٤٦٣.

ج) الصلوات الختامية:

١) التحليل:

وهو يُسمى بالقبطية **μετρεωθε**، وبال يونانية **Τὸ ἀπολυτικίον**، ومن المعنى اللغوي للكلمة عرفنا أن اسم صلاة التحليل نسبة إلى قرب نهاية الصلاة، وطلب الحل (السماح) بالانصراف من أمام الحضرة الإلهية. والتحليل هي مجموعة من الصلوات التي تُنسب لعدد من آباء الكنيسة الكبار، غير أن من الصعب تحديد اسم واضح كل منها. ومن أشهر هؤلاء القديسين، القديس باسيليوس رئيس أساقفة قيصرية كبادوكية الذي يُنسب إليه التحليل الثاني بصلاة باكر، والذي يبدأ بالعبارة «أيها الباعث النور المشرق شمس على الأبرار والأشرار...»^(٣٨). غير أن بعض العلماء يُشككون في صحة هذا النسب^(٣٩). كذلك القديس ساويروس الأنطاكي الذي يُنسب له تحليل صلاة الستار (الذي كان سابقاً تحليل صلاة النوم بحسب المخطوطات وبعض الطبقات القديمة)، والذي مطلعها: «أيها السيد الرب يسوع المسيح إلهنا أعطنا راحة في نومنا...»، كما تشهد بذلك بعض المخطوطات القبطية^(٤٠)، بينما ينسب علماء الكنيسة البيزنطية^(٤١) هذا التحليل للراهب أنتيوخوس ستراتايوس (سترانيجيوس) الكاتب الأورشليمي (ق. ٧)^(٤٢).

³⁸ *To Ὁρολόγιον το Μέγα*, εκδ. Ἀποστολικῆς Διακονίας τῆς Ἐκκλησίας τῆς Ἑλλάδος, Ἀθήνα, Δ' ἔκδ., 1997, σ. 126.

³⁹ Quecke, Hans Quecke, *Untersuchungen zum Koptischen Stundengebet*, Publications de l'Institut Orientaliste de Louvain, Louvain 1970, p. 26.

⁴⁰ راجع على سبيل المثال: المخطوط ٤ قبطي، بالمكتبة الوطنية الفرنسية بباريس، الورقة ٤٥٤ ظ.

⁴¹ *To Ὁρολόγιον το Μέγα*, σ. 222; Βασ. Χ. Ἰωαννίδης, «Ο Ἅγιος Ἀντίοχος ὁ μοναχός», ἐν *Θρησκευτικῆ καὶ Ἠθικῆ Ἐγκυκλοπαίδεια*, Ἀθήνα 1966, τόμ. Β', σ. 920.

⁴² الراهب أنتيوخوس ستراتايوس (سترانيجيوس) الكاتب الأورشليمي: من غلاطية أصلاً ووُلد بفلسطين، صار راهباً بدير القديس سابا بالقدس وعاصر الاحتلال الفارسي للقدس في ٥ أبريل ٦١٤م في عهد الملك الفارسي خسرو، فكتب عنها نبذة تاريخية بالعربية، تُرجمت فيما بعد للغة أهل الكرج (جورجيا) وطبعها العالم N. Marre بمدينة سان بطرسبرج، سنة ١٩٠٩م. كما كان له دورٌ بارزٌ في إعادة إعمار مدينة أورشليم بعد هزيمة الفرس ونزوحهم عنها، حيث ساعد رئيس دير

٢) ختام كل الصلوات:

اختلفت قديماً الصلوات التي كانت تُختم بها الصلوات في كتاب «الأجبية» القبطية، ولكن اتفقت معظم المخطوطات القديمة في أنها عبارات بسيطة، وليست قطعة طويلة كما هو الحال اليوم، فعلى سبيل المثال نجد العبارة الختامية للصلوات في واحد من المخطوطات: «يا رب ارحمنا (٣ مرات)، أيها الثالوث المقدس، اللهم رجاؤنا، ارحم عالمك (وفي بعض النسخ: جبلتك)، وخلص نفوسنا»^(٤٣)، بينما في مخطوط آخر تُختم الصلوات بالعبارة: «كرحمتك يا رب وليس كخطايانا»^(٤٤).

أما الصلاة الحالية فهي من إضافات الأسقف روفائيل طوخي، وقد وردت في نهاية صلاة باكر باسم: «صلاة» هكذا دون تعريف. ومن ثم فهي من بين المحتويات التي تغيرت بمرور الوقت إما بالحذف أو بالإضافة. أما عن باقي المحتويات التي تغيرت مع الأيام، فهذا سيكون موضوع مقالنا في العدد القادم إن أحب الرب وعشنا.

يُنْبَع

(وقتها) الأرشمندريت مودستس في تحقيق هذه الغاية. والنمس المساعدة من يوحنا الروح البطريرك الخلقيدوني بالإسكندرية، فأمدته بالمال والرجال والذخائر، فجدد كنيسة القيامة وعدداً من الكنائس والأديرة. ترك مجموعة من المؤلفات باليونانية ووردت في موسوعة الآباء اليونانيين على النحو الآتي: P. G. 86, 3235-3268 & 89, 1421-1856، راجع:

Χρυσόστομος Παπαδόπουλος (Αρχιεπίσκοπος Ἀθηνῶν καὶ Πάσης Ἑλλάδος), *Ιστορία τῆς Ἐκκλησίας Ἱεροσολύμων*, Ἱεροσόλυμα καὶ Ἀλεξάνδρεια 1910, σ. 242; Βασ. Χ. Ἰωαννίδης, «Ὁ Ἅγιος Ἀντίοχος ὁ μοναχός», ἐνθ' ἂνωτ., σ. 920.

- مما هو جدير بالذكر أن لدير مار سابا ولقدسيه ولرهيبانه، مكانه خاصة في الكنيسة القبطية، وهذا ما سوف نشرحه فيما بعد بالتفصيل.

^{٤٣} المخطوط ١٣٠ طقس؛ ١٤٧ طقس بمكتبة دير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس بالبحر الأحمر؛ والمخطوط ١٠٧ عربي، بالمكتبة الوطنية الفرنسية بباريس، الورقة ٢٤ ط؛ بالإضافة إلى المخطوط ٤٠ قبطي بالمكتبة الرسولية بالفاتيكان، والذي نشره الأسقف روفائيل طوخي سنة ١٧٥٠م، ص ٨٥.

^{٤٤} راجع على سبيل المثال المخطوط ٤٠ قبطي بالمكتبة الرسولية بالفاتيكان، والذي نشره الأسقف روفائيل طوخي سنة ١٧٥٠م، في ختام صلاة الستار فقط، ص ٣١١.